نداءات «قوم» والعلاقات القيادية هنا وهناك.

أما وقد باشر بيكر سلسلة جولاته التي أفضت لمدريد فقد استخرجت الجبهة تحليلاتها من الأدراج وحسمت موقفها المشار إليه أعلاه. وهذا ترك بصماته الثقيلة على تفكير وتحسبات قيادة الداخل منذ اللقاء الأول الذي قاطعته مع بيكر في القدس، الأمر الذي انعكس في مراسلاتها الداخلية، وقد استشعرت أن رأس الانتفاضة هو المطلوب وأن البرنامج الوطني لا سيما حق العودة هو اتجاه الضربة في المخطط المعادي، فيما الاستيطان قافز والمستعمرات تزداد وتتسع دون توقف.

لقد استخلصت قيادة الداخل دون لبس أو إبهام أن الاستمرار بالانتفاضة وحماية الاشتباك مع المحتل يتطلبان أن تتقدم الجبهة الصفوف وقيادة الشارع، وهذا لا يكون إلا إن أصبحت قوة أولى.

لم نتقبل حينذاك منظور غرامشي أن أقلية ذكية وواعية ومنظمة يمكن أن تقود الأغلبية. فالساحة الفلسطينية تقاطبية وفئوية والعمل السياسي فيها لم يرقَ إلى مستوى الانحياز البرنامجي. فالشعب توزع على الفصائل، والأعضاء بعد التحاقهم بالفصائل يسيرون معها دون فحص لتاكتيكاتها وعيوبها، أي عضوية شعبوية تحمل بعض الوشائج العائلية والطائفية، أما الذين يلتحقون بناءً على رؤية فكرية – سياسية أو ينسحبون اتصالاً بذلك فهم أقلية. فالعمل السياسي الفلسطيني يراوح بين العائلة والحزب.

كان الحزب البلشفي قد تبنى برنامج حزب الاشتراكيين الثوريين في المسألة الفلاحية لأنه وجد فيه معبراً عنه، وحكومة حزب العمل حافظت على رئيس الوفد المفاوض الليكودي نظراً لمهنيته، وحكومة الساندينست اليسارية أوكلت لرجل دين وزارة الثقافة... هذا لا يحصل في فلسطين.

و(بالتالي كان علينا أن نتحول لقوة أولى.

وقد استندنا للحيثيات التالية، وهي على التوالي من ناحية الأهمية:

١. وجودنا المنظم، فهو يكاد يغطي كل تجمع فلسطيني في الوطن، حتى أن لنا أصدقاء داخل ٤٨. وهو وجود دينامي فتيّ قابل للزيادة الكمية والتطور الكيفي، وإذا تضاعف يصبح بوزن فتح أو أكثر. أما من ناحية كيفية فهو أرقى بكل تأكيد.

٢. يتسلح وجودنا المنظم بشرط قيادي وما يشهد على كفاءة هذا الشرط ما راكمه هذا الوجود، وهو في معظمه سريٌّ ويصعب تصفيته.